قائمة هدايا

الأمير محمد بن السُّلْطان قَانصُوه الغَوري إلى السُّلْطان سليم الأول

(غرة المحرم سنة ٩٢٣هـ/ ٢٤ يناير ١٥١٧م)

دراسة ونشر وتحقيق

د. عمر جمال محمد علي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الآداب- جامعة سوهاج

ملخص:

تأتي هذه الدراسة كاشفة عن جانبٍ مهمٍّ في العلاقات بين المماليك والعثمانيين، من خلال وثيقة جديدة لم يسبق نشرها أو دراستها، ذات قيمة تاريخية كبيرة، تشتمل على قائمة هدايا الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري إلى السُّلْطان سليم الأول في أول المحرم سنة ٩٢٣هـ/٢٤ يناير١٥١٧م، وهي عبارة عن صورة أو نسخة نقلت من الوثيقة الأصلية التي لم يُعثر عليها. وتكمن أهميتها كونها تغطي النقص الذي تسببت فيه قلة الكتابات التاريخية التي تناولت هذه الفترة الفاصلة في تاريخ مصر عقب دخول العثمانيين واستيلائهم عليها.

وتضمنت الدراسة ثلاثة محاور رئيسة: جاء أولها لتسليط الضوء على حياة الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري وظهوره على مسرح الأحداث السياسية، وتقلّده عددًا من الوظائف الكُبرى المُهمة خلال فترة زمنية قصيرة خلال سلطنة والده، التي فقدها بعد مقتل والده في معركة مرج دابق، وتدهور علاقته مع ابن عمه السُّلْطان طومان باي الذي عزله وصادر أمواله، وقد أجهض كل ذلك أي رغبة لديه في الوصول إلى منصب السلطنة. وعالج ثانيها العلاقة بين الأمير محمد بن الغَوري والسُّلْطان سليم الأول، بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانية، والأسباب التي وراء هذا التقارب السياسي فيما بينهما. وتناول المحور الثالث قائمة الهدايا بالشرح والتحليل، والأسباب الدينية والثقافية والتاريخية التي حكمت اختيارها، ثم دراسة الوثيقة من حيث الشكل والمضمون، وقراءة نصها والتعليق عليها.

الكلمات الدالة:

قائمة هدايا- الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري- السُّلْطان سليم الأول- طومان باي- وثائق- المماليك- العثمانيين.

List of Gifts (Hadaya)
al-Amīr Muhammad Ibn Sultan Qānṣūh al-Ghawrī to Sultan Selīm I
(Muharram 01, 923 AH\ January 24, 1517 AD)
Studying, Publishing & Investigating

Abstract:

This study reveals an important aspect in the relations between Mamlûks and the Ottomans, through a new document not previously published or studied, of great historical value. This new document includes a list of gifts (Hadaya) of the al-Amīr Muhammad bin Qānṣūh al-Ghawrī to Sultan Salim I on Muharram 01, 923 AH\ January 24, 1517 AD. It is a copy or image taken from the original document, which was not found. Its importance lies in its use as it covers the shortage caused by the paucity of historical writings that talks about this intervening period in the history of Egypt after the entry and seizure of the Ottomans.

The study discussed three main aspects: the first aspect highlights on the life of al-Amīr Muhammad bin al-Ghawrī and his appearance on the scene of political events as he held a number of important senior jobs during a short period during his father's sultanate, which he lost after his father's death in the Battle of Marj Dābiq. His relationship with his cousin, Sultan Ṭūmān Bāy, who isolated him and confiscated his money, was deteriorated. All this aborted any desire he had for the position of the Sultanate. The second deals with the relationship between al-Amīr Muhammad bin al-Ghawrī and Sultan Selīm I, after the defeat of the Mamlûks in the Battle of Ridaniya, and the reasons behind this political rapprochement between them. The third aspect dealt with the list of gifts with explanation and analysis, and the religious, cultural and historical reasons that decided to their chosen, then studied the document in terms of form and content, and read its text and comment on it.

Key words: *list of gifts (Hadaya), al-Amīr Muhammad bn Qānṣūh al-Ghawrī, Ṭūmān Bāy*, *Sultan Selīm I, Wathāiq, Mamlûks, Ottomans.*

مقدمة:

تحتفظ مكتبة جامعة لايبزيك (Leipzig) بألمانيا بعددٍ كبيرٍ من المخطوطات العربية المتنوعة، من بينها مخطوطات أسرة الرفاعية الدمشقية، والتي تحتوي على مخطوطاتٍ متنوعة من الشعر والتصوف والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم الإسلامية المختلفة(١). ومن بين هذه المخطوطات مجموع بعنوان: «الدُّرر المنثورات» لمؤلف مجهول، تحت رقم حفظ جديد Vollers 663، وقديم D.C. 212، يضمّ بين دفتيه عددًا من المكاتبات والرسائل الديوانية المملوكية، إلى جانب بعض الرسائل الصغيرة التي تتعلق بموضوعات أخرى(٢).

ومن بين أوراق هذا المخطوط وثيقة ذات قيمة تاريخية كبيرة تشتمل على قائمة بهدايا الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري إلى السُّلْطان سليم الأول(٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م). وتكمن أهميتها كونها تغطي النقص الذي تسببت فيه قلة الكتابات التاريخية التي تناولت هذه الفترة الفاصلة في تاريخ مصر عقب دخول العثمانيين واستيلائهم عليها. إذ لم يصلنا من هذه الفترة سوى كتابات ابن إياس(المتوفى بعد سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٢م) وابن زُنْبُل الرمال(المتوفى بعد سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، ولم يذكر أيّ منهما خبرًا عن هذه الهدية. كما تُساعد تلك الوثيقة في معرفة طبيعة العلاقة بين الأمير محمد بن الغَوري والسُّلْطان سليم الأول بعد دخوله مصر، فضلاً عن أنها تحوي معلومات مهمة لأنواع التحف والهدايا الواردة، وهو ما ستُعالجه الدراسة فيما يلي.

-الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري وظهوره على مسرح الأحداث السياسية:

يُعدّ الأمير النَّاصِري محمد بن قَانصُوه الغَوري أحد الشخصيات المهمة التي شاركت في الأحداث السياسية في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني، ورغم ذلك لم ينل أي اهتمام من قبل المعنيين بهذه الفترة، وشأن هذا الأمير شأن غيره من كبار الأمراء، الذين لا نعرف عنهم سوى أخباره في العصر المملوكي، بينما يحيط الغموض بتتمة حياته في بداية العصر العثماني.

بدأ ظهور الأمير محمد الصغير على المسرح السياسي عندما قام والده السُّلْطان قَانصُوه الغَوري(٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) بتعيينه في شهر ذي الحجة سنة٩١٦هـ/مارس١٥١١م في وظيفة شاد الشراب خاناه[٣] عِوضًا عن أخيه النَّاصِري محمد الكبير المتوفّى، وكان السُّلْطان يُعد ابنه هذا ليخلفه بعده رغم صغر سنه، وكان يصحبه معه في كثير من أسفاره ورحلاته؛ للتريض والتنزه[٤].

وفي جُمادى الآخرة سنة٩٢٠هـ/أغسطس١٥١٤م، أرسل السُّلْطان قَانصُوه الغَوري إلى الأمير سيباي[٥] نائب دمشق، يخطب ابنته لابنه الأمير محمد ولكنها توفيت في طاعون هذه السنة، فسعى السُّلْطان في أن يزوجه بابنة سيباي الصُغرى، وتُدعى «شقرا»، ورغم عدم موافقة الأمير سيباي في البداية؛ لصغر سن ابنته التي كانت في عمر التاسعة، إلا أنه وافق على الزواج نتيجة لإصرار السُّلْطان، وقبل مهرها وقدره عشرة آلاف دينار[٦]، ويبدو أن السُّلْطان الغَوري

أراد من وراء هذه المصاهرة أن يأمن جانب الأمير سيباي، ويجعله سندًا لولده محمد بعد وفاته.

وتزايدت مكانة الأمير محمد في الدولة بعدما أنعم عليه والده السُّلطان الغَوري بإمرة الخازندارية الكبرى[٧] في شوال سنة٩٢٠هـ/نوفمبر١٥١٤م، وكان له من العمر يومئذ نحو ثلاث عشرة سنة[٨]. وعندما مات الأمير قاني باي الرماح[٩] أمير آخور كبير[١٠] في ربيع الأول سنة ٩٢١هـ/مايو١٥١٥م، أشار بعض كبار الأمراء على السُّلْطان تولية ابنه الأمير محمد في إمرة آخور كبير، فأعجب السُّلْطان ذلك في الباطن، وطلب حضور ولده محمد، فلما حضر وتكامل مجلس السُّلْطان بحضور كبار الأمراء أنعم عليه بإمرة الآخورية الكبرى. وقد علق المؤرخ ابن إياس على ذلك « بأنه لم يُسمع فيما مضى من الأخبار المتقدمة أن ابن سلطان ولي أمير آخور كبير سوى هذا...فعُد ذلك من النوادر الغريبة»[١١]. وهو ما يشير إلى رغبة السُّلْطان الغَوري في إكساب ابنه الخبرات العسكرية؛ ليخلفه في السلطنة من بعده، عن طريق التدرج في الوظائف المهمة في هذه السن الصغيرة والفترة الزمنية القصيرة.

وفي جُمادى الأولى سنة ٩٢١هـ/يونيو١٥١٥م، أخلع السُّلْطان على ولده الأمير محمد أمير آخور كبير وظيفة خلعة الأنظار[١٢]، فخرج في موكب حافل بصحبة كبار الأمراء، وقد تعاظم في وظيفة إمرية آخور الكبرى، وأمر السُّلْطان بأن «أحدًا لا يقول له سيدي بل أمير آخور كبير»[١٣].

ولما عزم السُّلْطان الغَوري على الخروج للشام لملاقاة السُّلْطان سليم الأول، أمر ولده الأمير محمد في ربيع الأول سنة ٩٢٢هـ/أبريل١٥١٦م، بأن يسافر بصحبته إلى بلاد الشام، بعد أن كان قد رسم له أن يكون مقيمًا بالقلعة حتى يرجع، فتوجه معه إلى بلاد الشام في شهر ربيع الآخر من السنة نفسها(١٤).

وعندما وصل السُّلْطان الغَوري إلى حلب، واستعد بعد ذلك لقتال السُّلْطان سليم الأول، أمر ابنه الأمير محمد بالإقامة في قلعتها؛ حتى يكون في مأمن من القتال، وأوكل له حراسة خزانته وأمواله، ضامنًا له ولاء من فيها، وعدم مغادرة المدينة، التي ظل مقيمًا فيها حتى وصلت فلول الجيش المملوكي الهاربة إلى حلب بعد مقتل السُّلْطان الغوري وكبار الأمراء في موقعة مرج دابق(١٥)، فرفض أهلها دخولهم وطردوهم، فتوجّهوا إلى دمشق في شعبان سنة ٩٢٢هـ/ سبتمبر١٥١٦م(١٦). وقد تعرّض الأمير محمد ومن معه من الأمراء الفارين في طريقهم لدمشق لهجوم العُربان، الذين نهبوا من أثقاله وأثقال من معه من الأمراء ما قدروا عليه، ولمّا دخلوا دمشق ضاقت عليهم المدينة وغلت فيها الأسعار، فأقاموا بها ثمانية عشر يومًا، ثم توجهوا إلى مصر في شهر رمضان من السنة نفسها، فدخلوها ليلًا وهم في أسوأ حال، وكان مع الأمير محمد بن الغَوري زوجته ابنة الأمير سيباي ووالدتها، ونزل في بيت أبيه الذي بناه له بالبندقانيين(١٧).

بعد الهزيمة الفادحة التي مُني بها الجيش المملوكي في مرج دابق(١٨)، وعودة فلول المماليك في حالة سيئة إلى القاهرة، بدأ الأمراء في التفكير

والتشاور في ترشيح شخصية قوية مناسبة لتولي منصب السلطنة، فقد سعى المماليك الجُلبان[١٩]، وبعض الأمراء في تعيين ابن أستاذهم الأمير محمد سُلطانًا، غير أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك لصغر سِنِّه[٢٠]. وانتهى رأي الجميع على سلطنة الأمير طومان باي[٢١] الدوادار الكبير[٢٢]، الذي امتنع عن قبول المنصب؛ فقال له الأمراء «ما عندنا نسلطن إلا أنت طوعًا أوكرهًا»[٢٣].

ويرجح رفض الأمير طومان باي وتردده في قبول هذا المنصب بسبب الخوف من غدر المماليك وإثارتهم الفتن وثورتهم عليه، فضلاً عن ثِقل المسئولية، واضطراب الأوضاع الداخلية للبلاد.

سرعان ما تغيرت الأوضاع بالنسبة للأمير محمد، الذي بدأ يفقد مكانته السياسية ووظائفه التي حاز عليها في عهد والده السُّلْطان الغَوري، وما لبث أن عزله ابن عمه السُّلْطان طومان باي عن وظيفة إمرة آخور الكبرى، ثم سعى للحصول على بعض أموال منه ليستعين بها على حرب السُّلْطان سليم الأول، فصادره على قدرٍ كبير من المال، بعد أن سرت إشاعة بأن السُّلْطان الغَوري قبل أن يتوجه إلى بلاد الشام قد ترك له مائة ألف دينار[٢٤]. وقد أشار ابن زُنْبُل[٢٥] إلى ذلك في سياق حديثه عن سلطنة طومان باي بأنه « أراد أن يقبض على سيدي محمد بن الغَوري، ويأخذ ما معه من المال. فقام الأمير أبرك[٢٦]– رأس الجُلبان– وقام معه من بقي من الجُلبان وقالوا: لا سبيل إلى أذى ابن أستاذنا بوجه من الوجوه حتى تذهب أرواحنا. يهلك أستاذنا بينكم، ويغلب قهرًا، وتريدون أن تهلكوا ولده الآخر! فلا كان ذلك أبدًا إلا إن هلكنا أجمعين». فتدخل

بعض الأمراء في تهدئة الأمور، وانتهى الأمر بأخذ ستين ألف دينارًا من الأمير محمد دفعها للسلطان طومان باي لكي يستعين بها على قتال العثمانيين.

وفي ضوء ما سبق يتبيّن الصعود السريع للأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري على مسرح الأحداث السياسية، وتقلّده عددًا من الوظائف الكُبرى المُهمة خلال فترة زمنية قصيرة، غير أن هذه المكانة قد فقدها بعد مقتل والده السُّلْطان الغَوري في مرج دابق، وتدهور علاقته مع ابن عمه السُّلْطان طومان باي الذي عزله وصادره، وقد أجهض كل ذلك أي رغبة لديه في الوصول إلى منصب السلطنة.

-العلاقة بين الأمير محمد بن الغَوري والسُّلْطان سليم الأول:

بعد أن استولى السُّلْطان سليم الأول على بلاد الشام، قرر الزحف بجيوشه على مصر بعد أن فشلت محاولاته في إدخال سُلطانها تحت طاعته، وفي ٢٩ من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ /يناير ١٥١٧م، اصطدم الجيشان – المملوكي والعثماني– في الرَّيْدانية[٢٧]، وانتهت المعركة بهزيمة المماليك، واستيلاء السُّلْطان سليم الأول على القاهرة[٢٨].

وبعد هذه المعركة، وفي محاولة من السُّلطان سليم لاستمالة كبار أمراء المماليك وتأليف قلوبهم، وضمان ولائهم له، أرسل في أول المُحرّم سنة٩٢٣هـ/٢٤يناير١٥١٧م، إلى الأمير محمد يأمره بالحضور إلى وطاقه[٢٩] بالرَّيْدانية وله الأمان، وبالفعل امتثل الأمير محمد لهذا الطلب، فلما حضر إليه «ألبسه قفطان مخمل[٣٠] مذهبٌ، وعمامة عثمانية، وأعطاه ورقة بالأمان، وأمره

بأن يسكن في مدرسة أبيه بالشرابشيين[٣١]، وأسكن الدفتردار [٣٢] في بيته الذي بالبندقانيين»[٣٣].

ويتفق ابن زُنْبُل مع ابن إياس ويدعم روايته حول لقاء الأمير محمد بالسُّلْطان سليم بقوله:« وكان سيدي محمد قد قابل سليمًا في أول دخوله مصر على يد أخي جلبي وقاضي العسكر محمد أفندي[٣٤] بحكم وعهد كتبه له السُّلْطان سليم، وحلف له أيضًا أنه لا يضره بوجه من الوجوه»[٣٥] . وهو ما يؤكد صحة تاريخ لقاء الأمير محمد بالسُّلْطان سليم الأول وهو أول شهر المحرم، ويؤيد ذلك –أيضًا– ما ورد في يوميات حملة السُّلْطان سليم الأول على بلاد الشام ومصر المحفوظة في الأرشيف العثماني، والتي جاء فيها: «يوم السبت غرة محرم ....عقد ديوان، وصل ابن الغَوري وقدّم طاعته»[٣٦]. ونستنتج من ذلك، أنه في هذا التاريخ قَدَّم الأمير محمد بن قانصوه الغوري هداياه إلى السُّلْطان سليم .

وهنا تُطرح تساؤلات مُهمّة حول السبب الذي دفع السُّلْطان سليم الأول إلى طلب الأمير محمد بن الغَوري واعطائهِ ورقة بالأمان؟ ولماذا قَبِل الأمير محمد ذلك، وهو يعلم أنه كان سببًا في مقتل والده وزوال مُلكه؟

لم تُفصح المصادر التاريخية المُعاصرة عن السبب الذي دفع السُّلْطان سليم الأول إلى إعطاء الأمان للناصري محمد، إلا أنَّ ابن زُنْبُل في تاريخه الكبير الذي ما يزال مخطوطًا[٣٧]، قد كشف اللثام عن بعض الأمور التي يُمكن أن

نستنتج منها السبب وراء ذلك. فقد ذكر أنه تقابل مع الأمير محمد بن الغَوري في القُسطنطينية(إسطنبول)، وتحدّث معه حول ما جرى من أحداث بقوله:

«حكى لي سيدي محمد ابن السُّلْطان؛ ونحن نتحدث عنده في القسطنطينية قال: لمَّا جاءني المكتوب من عند السُّلْطان سَليم شاه؛ وقد كُنت هربت من ابن عمِّي في خوفين: الأول من ابن عمِّي السُّلْطان طُومنبَاي أنه إن ظفر بي قتلني، والثاني من السُّلْطان سَليم وجنوده إن يظفر بي أحد منهم فلم يبق عليّ. فلمَّا جاءني كتاب السُّلْطان سَليم أيقنت بالأمان من هذا الجانب، ولكن نظرت في الكلمات بعض كلمات حصل عندي منها ما حصل، فأرسلتُ له مع رسولهِ شخصًا من عندي، وأرسلت أقول له: إني أريد التوكيد عليه في الأيمان، وأن يحلف لي بما هو كذا وكذا. فلمّا رجع إليه الرسول بغير قضاء حاجة لم يسهل ذلك على السُّلْطان، وقال: هو يظن أننا كالجراكسة نقول ولا نفي بما نقول. ثم كتب إليَّ ما طلبت. فلمّا عاد إليَّ الرسول؛ وكان من أكابر الرُّوم فسألتهُ عمّا وراءه، فقال: كُل خير، ولكن صعب على السُّلْطان حيث ظننت به قلة الوفاء»(٣٨).

وفي ضوء ما ذكرهُ ابن زُنْبُل يتضح أن السُّلْطان سليم الأول استخدم كل الوسائل التي تُمكنه من مُلك مصر، فقد حارب وانتصر، واستخدم سلاح الخيانة بإغراء كبار الأمراء وانضمامهم إليه، على نحو ما فعل مع خاير بك(٣٩) وجان بردي الغزالي(٤٠) وغيرهما. ومن ثم أدرك أهمية تقريب الأمير محمد إليه في تحقيق ذلك، فالاتصال الذي تم بينهما كان في سِرّيّة تامة، حتى يحقق السُّلْطان

سليم ما يُريد، وهو إضعاف الجبهة الداخلية المملوكية التي يتزعمها السُّلْطان طومان باي، وجذب أعدادٍ كبيرة من المماليك لصالحه.

ومن المُحتمل أن السُّلْطان سليم الأول عَلم من بعض جواسيسه بالقاهرة(٤١)، أوعن طريق بعض أمراء المماليك الفارين إليه، الخلافات التي حدثت بين السُّلْطان طومان باي وابن عمِّه الأمير محمد، عندما عزله من وظائفه وصادر كثيرًا من أمواله، فأراد أن يستغل هذا الأمر لصالحه، فأحضر ابن السُّلْطان الغَوري إليه وأكرمه ورحب به وبالغ في تعظيمه، وبذلك يكون قد أعطى صورة مختلفة عنه أمام الناس. وفي الوقت نفسه يستخدمه كورقة ضغط لإضعاف السُّلْطان طومان باي، وتحجيم قوته، ومحاولة إبعاد كثير من أمرائه والحيلولة دون لجوئهم إليه.

وليس أدل على ذلك، عندما اشتدت مقاومة السُّلْطان طومان باي ومن معه من المماليك، وألحق الخسائر بالعثمانيين في أكثر من معركة، أمر السُّلْطان سليم الأمير محمد «أن يخرج بسنجق(٤٢) أفردهُ له، فعند ذلك خرج سيدي محمد ابن المرحوم قَانصُوه الغَوري، وأمر بعض مماليكه أن يُنادِي: يا معاشر الجراكسة من أراد أن يحقن دمه، وتسلم له نفسه فليأتي إلى تحت سنجقنا هذا، وله الأمان». الأمر الذي يُبَيَّن كيفية استخدام السُّلْطان سليم الأول لسلاح المكر والحيلة، بضرب المقاومة المسلحة التي يقودها السُّلْطان طومان باي، وذلك بخروج الأمير محمد بالراية ليطمئن المماليك واخراجهم من مخابئهم ويكون لهم الأمان.

أما عن السبب وراء قبول الأمير محمد لأمان السُّلْطان سليم الأول، رغم أنه كان سببًا في مقتل والده وزوال مُلكه في مرج دابق، فيرجع إلى إدراكه بأن المعارك العسكرية تسير في صالح العثمانيين، بعد انتصارهم للمرة الثانية في الرَّيْدانية، وأصبح سقوط الجيزة والوجه القبلي ما هو إلا مسألة وقت، ومقتل كثير من مماليك أبيه الجُلبان وهروب البعض الآخر، وأنه من الأسلم قبول عرض السُّلْطان الذي وجد فيه ملاذًا آمنًا يتمسك به بعد عداء ابن عمِّه له، وربما حنق عليه لعدم تمكنُّه من الفوز بالسلطنة، فخطر بباله أن السُّلْطان سليم الأول يُجلسه في حكم مصر بعد رحيله عنها، ولا يمكن أن نتجاهل رغبة الأمير محمد في المحافظة على الأملاك والأوقاف الكثيرة التي تركها والده بالقاهرة وغيرها من المدن المصرية والشامية(٤٣).

وفي الحقيقة لا يمكن اعتبار الأمير محمد خائنًا للمماليك، أو لابن عمِّه السُّلْطان طومان باي، ففي هذه السن الصغيرة، حيث كان في الخامسة عشر وبضعة أشهُر، على الرغم من الخبرات السياسية التي حازها في عهد أبيه السُّلطان، إلا أنها كانت غير كافية، خاصة أنها كانت في فترة زمنية قصيرة، وبالتالي لم يكن باستطاعته التحكم في قراراته وانفعالاته، مع عدم وجود شخصية عاقلة توجّهه وتُرشده، إلى جانب تأثره بالظروف القاسية الناجمة عن مقتل أبيه، وعزله عن وظائفه وفقدانه لمكانته السياسية، ومصادرة أمواله. وهو ما أشار إليه ابن زُنْبُل على لسانه بقوله: «كُنتُ مع الرُّوم؛ وأنا أسأل الله في

سِرِّي أن يكسرهم، وينصر الجراكسة عليهم»[٤٤]. الأمر الذي يُبين أن ولاء الأمير محمد وعاطفته كانت مع المماليك، وكان يرجو من الله انتصارهم.

على أية حال، نجح السُّلْطان سليم الأول في السيطرة على مصر، والقضاء على مقاومة السُّلْطان طومان باي، وشنقه على باب زويلة، وما إن استقرت الأوضاع له، وانتهى من تنظيم شئونها الداخلية، حتى قرر مُغادرتها مُتجهًا إلى بلاد الشام في شعبان سنة ٩٢٣هـ /سبتمبر ١٥١٧م، وقد أمر الأمير محمد بن الغَوري بأن يسافر معه، فتجهز وسافر صُحبته، واستمر في حلب حتى قرر السُّلْطان سليم الأول إرساله إلى إسطنبول، ومعه بعض الأمراء يحتفظون به إلى أن يدخل إسطنبول، وأرسل معه الخواجا يونس العادلي[٤٥] ليكون بصحبته هُناك، وذلك في ربيع الآخر سنة ٩٢٤هـ/مايو ١٥١٨م[٤٦]. وكانت زوجته بنت الأمير سيباي ووالدتها قد وصلتا إلى دمشق، ثم رحلتا إلى إسطنبول في صفر من السنة نفسها[٤٧]. ولعلَّ السُّلْطان سليم الأول أراد أن يقطع كل الطرق على عودة الروح المملوكية، بوجود الأمير محمد بن الغورى في مصر والتفاف فلول المماليك حوله، وربما طلب منه خاير بك ذلك حتى لا يكون له منافس سياسي أو معنوي.

ظل الأمير محمد بن الغَوري مقيمًا بإسطنبول، حتى أصدر السُّلْطان سُليمان بن سليم الأول(٩٢٦-٩٧٤هـ /١٥٢٠ -١٥٦٦م) فرمانًا في شهر رجب سنة ٩٢٧هـ/يوليو ١٥١٨م، بعودة المصريين إلى بلادهم فرحل معظم الناس، ولم يبق إلا القليل ممّن لم يشملهم الفرمان منهم: الأمير محمد بن الغَوري وبعض

أمراء الديار المصرية وأعيانها[٤٨]. ويبدو أن السبب في عدم إرسال السُّلْطان سُليمان للأمير محمد إلى مصر، والتحفظ عليه طوال هذه السنوات، هو تخوفه أن تنتفض البلاد المصرية عليه بعودته، ويلتف الناس من حوله، وهو ما يؤكد ما فعله والده السُّلْطان سليم عندما أخذه معه إلى إسطنبول، وظل هناك تحت ما يُشبه بالإقامة الجبرية.

للأسف لم تصلنا أية معلومات تفصيلية عن حياة الأمير محمد بن الغَوري أثناء إقامته في إسطنبول، غير أنه خُصِّص له مبلغ خمسمائة درهم عثماني كل يوم، وكان مُسرفًا في مأكله ومشربه، وأنفق كثيرًا من الأموال على ملذاته «إلى أن عَلاه الدّيْن مع ما كان له من أبيه من الملك والوقوف بالقاهرة وحلب وغيرهما فحطت منزلته وانحطت علوفته[٤٩] إلى ستين درهمًا»، ثم أقام بدمشق مدة، ولا نعلم تاريخ وصوله إليها، فربما تكون بعد سنة ٩٢٧هـ /١٥١٨م، وما لبث أن توجه إلى حلب وقطَن بها مدة، وبعد ذلك توجه إلى إسطنبول، وتوفي هُناك سنة ٩٤٧هـ /١٥٤٠-١٥٤١م[٥٠].

قائمة هدايا الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري إلى السُّلْطان سليم الأول العثماني:

الوثيقة موضوع الدراسة لم يسبق نشرها أو دراستها من قبل-على حدّ علمي- وهي عبارة عن قائمة[٥١] هدايا قدّمها الأمير محمد بن قَانصُوه الغَوري إلى السُّلْطان سليم الأول عند دخوله مصر. وقد أغفل المؤرخون المعاصرون ذكر أية تفاصيل عنها، وهو ما يبرز أهميتها. وهذا النوع من الهدايا كان من

الأمور المُتبعة بهدف الدخول في الطاعة وإظهار الولاء والإخلاص وكسب مودّة السُّلْطان ومحبته(٥٢).

وقد ذكر القلقشندي(٥٣) أنَّ من مقاصد المُكاتبات التَّهادي والمُلاطفة التي «يجب أن تُودَع من الألفاظ المستحْسَنة ما يُمَهِّد لقَبُول الملاطفة والمَبَرَّة التي تتميز في المودة... وقد جرت العادةُ أن تُودّع هذه ا لرقاع من أوصاف الشي المُهْدى ما يحسِّنه في نفس المُهْدى إليه». وهو ما جاء في افتتاحية القائمة، حيث عبر الأمير محمد عن تواضعه فيما يقدمه للسُّلْطان بما نصه: «المجهز من فايض الصدقات الشريفة شرفها الله تعالى وعظمها...»(٥٤)، وفي آخر القائمة طلب الأمير محمد بن الغَوري في تواضع من السُّلْطان سليم الأول قبول الهدايا بما نصّه: «وفى امر القايمه وبسط اليدين فسؤال المملوك من الصدقات الشريفه قبول ذلك لله تعالى»(٥٥)، كما ورد ذكر اسمه بصيغة التواضع والطاعة بقوله: «المملوك محمد»(٥٦)، وهو ما يؤكد أن طبيعة الإهداء وظروفه مختلفة هُنا من المهزوم(الأمير محمد) إلى المنتصر(السُّلْطان سليم).

وإذا كانت القائمة غير مؤرخة، فإنه قد سبق وأن أشرنا إلى أن الأمير محمد بن الغَوري والسُّلْطان سليم الأول قد تقابلا في أول المحرم سنة٩٢٣هـ/يناير ١٥١٧م، ومن ثم نُرجح تاريخ كتابتها في هذا اليوم. وهي عبارة عن نسخة نقلت من الوثيقة الأصلية المفقودة، مثل كثير من الوثائق التاريخية القيّمة. وقد كتبت في صفحة واحدة (الورقة ٧٩ أ)، على ورق أصفر اللون بالحبر الأسود بخط الرّقاع الدارج صعب القراءة، والنص بحالة جيّدة.

وكاتب هذه القائمة عبد الجواد بن موسى بن فارس بن عبد الله الظاهري، وقد كتب اسمه في آخر القائمة بالصفحة الأولى(وجه الوثيقة)، وذكر أن والده هو الذي أملى عليه محتوياتها. ثم نجد في ظهرها(الورقة ٧٩ب) تَملك باسمه مؤرخ في ٢٨ جُمادى الأولى سنة ٩٦٥هـ/ مارس ١٥٥٨م. وهو ما يُمكن أن نعتبره التاريخ الذي كُتبت فيه هذه النسخة عن الأصل.

أما عن أسلوب الكتابة في الوثيقة فقد أهمل الكاتب الهمزات إهمالاً بارزًا، ولَيّن الهمزات المتوسطة في وسط الكلمات إلى حرف ياء مثل:«قايمة»، و«فايض»، كما اختصر الكاتب لفظ «تعالى»، وأسقط حرف اللام في بعض الكلمات مثل: «السطاني»، و«سطان»، و«السطان»، مع اهتمامه بالنقط في أغلب الكلمات.

كما استخدم الكاتب الأرقام الديوانية[٥٧] المكتوبة بخط السياقة(أرقام السياقة)، كما هو موضح بالجدول التالي:

الأرقام الهندية	الأرقام الديوانية(أرقام السياقة)
٣	
١٠	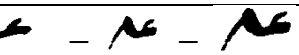
١٦	
٣٠	

والقائمة تضم هدايا متنوعة من التُّحف الثمينة المُذهبة، والأقمشة ذات القيمة الكبيرة، التي جاءت كمرحلة ثانية للمراسلات التي دارت بين الأمير محمد بن الغَوري والسُّلْطان سليم الأول، وبمثابة إظهار حسن النّية، كما أنها تُعبر عن مكانة المرسل والمرسل إليه وقدره، وموضع تقديره واحترامه، وأن اختيارها كان بحرص وعناية كبيرة.

أمّا عن طريقة عرضها فقد حملت دلالات ومعانٍ مُختلفة، فجاء المُصحف الشريف على رأس الهدايا، وهو بطبيعة الحال يرمز إلى وحدة الدين الإسلامي، في حين أن السيف الذي يرمز إلى القوة العسكرية، وكان موضع تقدير من قبل السلاطين والأمراء في ذلك العصر، خاصة المزخرف بالذهب والمرصع بالجواهر، إلا أنه يُمكن اعتبار تقديمه للسُّلْطان سليم كرمز للخضوع وإعلان الطاعة والولاء للسُّلْطان المنتصر. وبعد ذلك يأتي المماليك والخدم، لكي يضمهم السُّلْطان إليه ويخدمونه في شئونه المختلفة، وهو ما يدل على اتساع الملك وكثرة الحاشية والخدم.

ثم تأتي الأقمشة التي تضم أنواع الفراء المُختلفة ذات الجودة العالية والمُستوردة من خارج مصر، وهي تتناسب مع زمن الشتاء التي قدمت فيه الهدايا(٥٨)، إلى جانب الأقمشة المصرية المصنوعة في مدينتي الإسكندرية وفارسكور، والتي حرص سلاطين المماليك وأمراؤهم على ارتدائها واستعمالها في صناعة ملابسهم، والتي كانت تُقدم لهم من كبار الأمراء ونواب بلاد الشام في كثير من المناسبات(٥٩)، وهي تتناسب مع نوعية الملابس التي يرتديها

السُّلْطان العثماني. وبعد ذلك جاءت بعض الأدوات الحربية المُذهبة، ثم أواني الشُّرب والوضوء، وقدم بعد ذلك الشطرنج كأحد الألعاب الترفيهية التي نالت اهتمام كثير من الملوك والسلاطين، ثم أواني الطعام.

وفي ضوء ما سبق يتبين أن قائمة الهدايا جاءت متنوعة ومُنتقاه بعناية بالغة، فكانت من أحسن التُّحف وأجود الأقمشة، فضلاً عن إعطاء صورة لمستوى الصناعة في مصر أواخر العصر المملوكي، وإن كان لا يمكننا الجزم بتقدمها؛ لعدم معرفة تاريخ صناعتها على وجه التحديد.

نص الوثيقة

أ. وجه الوثيقة:

١-الحمد لله رب العالمين

٢-المجهـــــــــــز

٣-من مولانا النجل الشريف محمد بن المرحوم المقر(٦٠) الكريم العالي(٦١) المولوي(٦٢) الأمير[ي](٦٣) الســ[ـلـ]ـطاني(٦٤) ســ[ـلـ]ـطان

٤-الإسلام والمسلمين مولانا الســ[ـلـ]ـطان قَانصُوه الغَوري إلى مولانا السُّلْطان سليم

٥-عند افتتاحه(٦٥) مصر ومقابلت(٦٦) الاثنين(٦٧)

٦- قايمـــة مكتوب فيها:

٧- المجهز من فايض الصدقات الشريفه شرفها الله تعالى وعظمها بالفقيري(٦٨) وبسط اليدين ثمن قليله(٦٩)

٨- المملوك

٩- محمد باب

١٠-مصحف شريف	سيف فولاذ(٧٢)	مماليك	خدام حبوش	سمور(٧٦) عال	وحق(٧٨) عال(٧٩)
١١-بخط المرحوم ياقوت(٧٠)	مسقط(٧٣)ذهب	نفرين(٧٥)	نفرين	اربعه ابدان(٧٧)	اربعه ابدان
١٢-ملو[ن](٧١)	(...)(٧٤)				

١٣- سنجاب[٨٠] اسود		قاقم[٨١]	سنجاب ازرق	شاشات[٨٢] شقق[٨٣]
١٤- اربعة ابدان		ثلاث ابدان	اربعه ابدان	١٦ عده
١٥-				٣٠
١٦-		(...)[٨٤]	أنصاف خمسيني[٨٦]	أطلس[٨٧] سكندري
١٧-	صيني	(...)[٨٥]	١٠	١٠ ١٠
١٨-	اثنين	اربعه		فارس كوري[٨٨]
١٩-				١٠
٢٠-خنجـــه[؟][٨٩]		حياصه[٩١]	تركاشين[٩٣]	سكاكين كوز
				بدله[٩٦] قاضياني[٩٧]
٢١- فولاذ بقبضه ذهب		ذهب مرصعة	بلوره[٩٤] مزمكة[٩٥]	بلور مزمك بلور مزمك بذهب ذهب
٢٢-		بمعادن	بذهب	٣
٢٣- طشت[٩٠]		سرج[٩٢]		شطرنج بلور سكاريج[٩٨] صيني
٢٤- وابريق بلور مزمك		بلور مزمك		مزمك بذهب عال عده
٢٥-بذهب برسم		بذهب		ورقعته بلور ١٠

الوضو[ء] ٢٦- كبار مزمكه بذهب
٢٧- وفى امر القايمه وبسط اليدين فسؤال المملوك من الصدقات الشريفه قبول ذلك لله تعالى ٢٨- وذلك املا[ه] والد كاتـــب[ـــه] الواثق بالله يوسف بن فارس[٩٩] بن عبد الله. ٢٩- كتبه عبد الجواد بن المشار اليه أعلاه

ب- ظهر الوثيقة(التملك):

١- ملك العبد الفقير المفتقر الى الله تعالى ٢- عبد الجواد بن كاتبه يوسف بن فارس الظاهري ٣- جعله الله تعالى في حفظه ورعايته ٤- وحماه من كل سو[ء] بمحمد وآله وغفر لمن ٥- دعا له بالصلاح آمين آمين آمين ٦- وحرر بتاريخ ثامن عشرين جمادى ٧- الاول سنة خمس وستون[١٠٠] وتسعماية ٨- من الهجرة الشريفة وصلى على ٩- سيدنا محمد واله ١٠- وسلم كتبه[؟] الفقير عبد الجواد

اللوحات

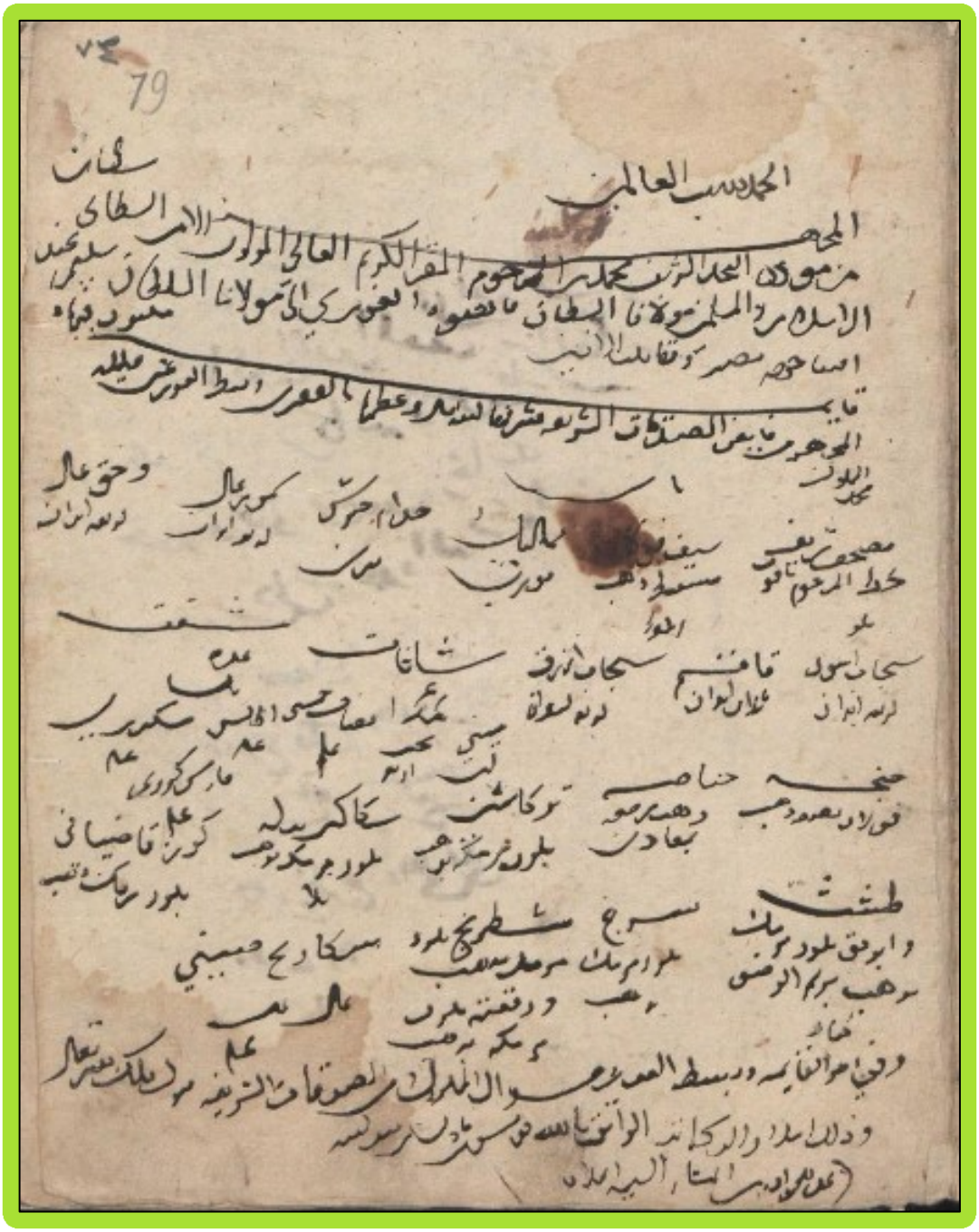

وجه الوثيقة: قائمة الهدايا

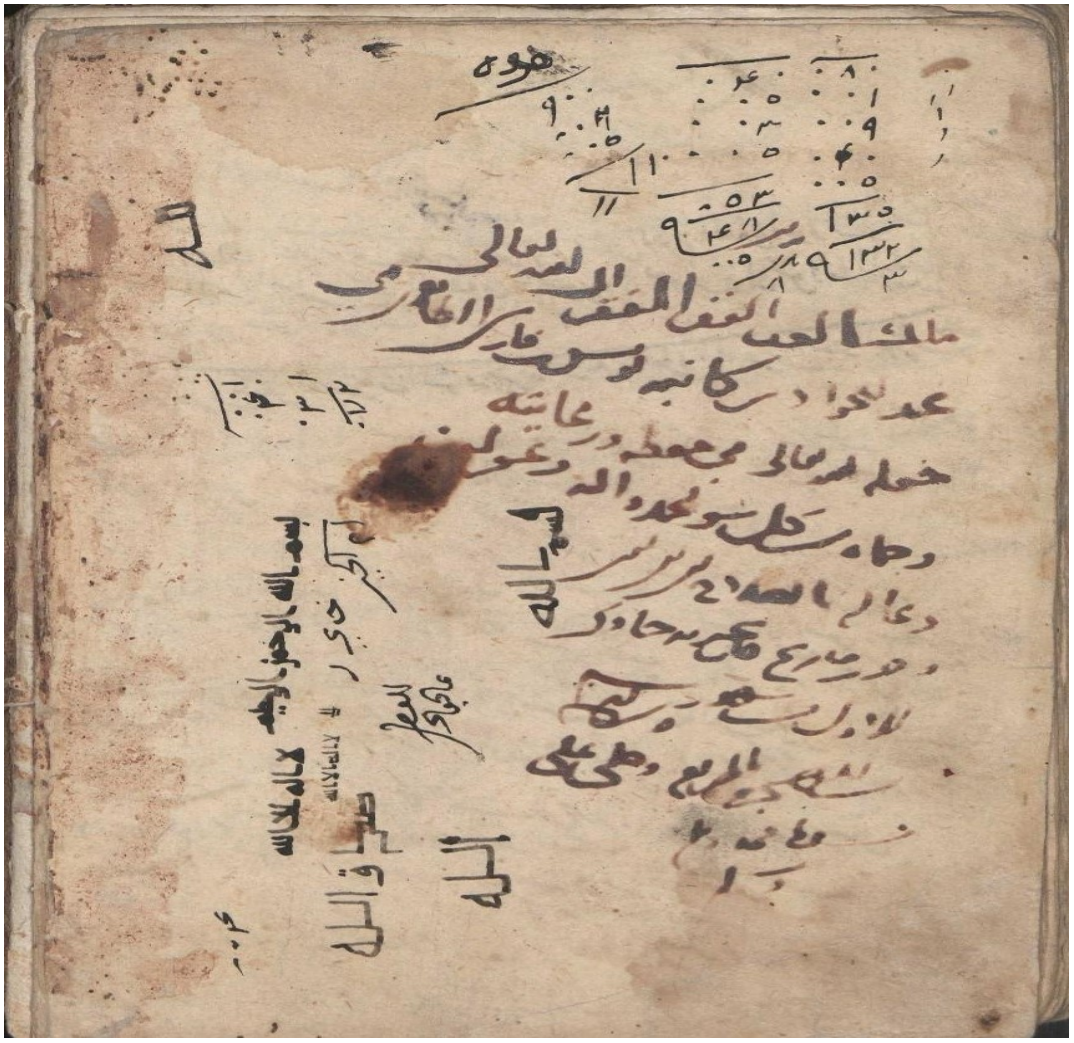

ظهر الوثيقة: تملك باسم: عبد الجواد بن يوسف بن فارس الظاهري

الحواشي:

(١) تضم محتويات مكتبة أسرة الرفاعية ٤٨٨ مجلداً، توارثتها الأسرة واعتنت بها عبر القرون وحتى القرن التاسع عشر، حيث تتألف من حوالي٣٢٠٠ مخطوطة اشتراها القنصل البروسي وعالم الدراسات الشرقية السيد يوهان غوتفريد فتشتاين Wetzstein Johann Gottfried من مالكها الأول السيد عمر أفندي الرفاعي في سنة ١٨٥٣، ثم قامت مكتبة جامعة لايبزيك بالحصول على محتوياتها والحفاظ عليها في قسم الكتب التاريخية. للمزيد حول مخطوطات أسرة الرفاعية ومشروع مكتبة جامعة لايبزيك لإتاحتها رقميا. راجع الموقع الخاص بها على شبكة الانترنت:

https://www.refaiya.uni-leipzig.de/content/index.xml?XSL.lastPage.SESSION=/content/index.xml

(٢) يحوي هذا المجموع مجموعة من المكاتبات والرسائل المتنوعة كالعهود والتواقيع والمراسيم والمناشير والكتب المرسلة وأجوبتها الخاصة ببعض خلفاء العباسيين وسلاطين المماليك وأمراؤهم والقضاة وغيرهم، إلى جانب بعض الإجازات والأدعية. كما شمل بعض الرسائل الصغيرة مثل تفسير آيات القرآن الكريم، وعلم الميقات، وحكم قص الأظافر، وغير ذلك. وليس في المخطوط أية إشارة إلى اسم جامعه أو ناسخه، فضلاً عن اضطراب بعض أوراقه.

(٣) شادّ الشَّراب خاناه: وهو المتحدث في أمر الشَّراب خاناه السُّلْطانية. ومعناها بيت الشراب أو مستودعات الشراب، وتشتمل على أنواع الأشْربة المُرْصَدة لخاص السُّلْطان، والمشروب الخاص من السكر والفواكه وغير ذلك. ويتولاها أمير مائة أو أمير طبلخاناه من أرباب السيوف، وتسمى بشدّ الشَّراب خاناه.(القَلْقَشَنْدي: أبو العباس أحمد بن على، المتوفى سنة٨٢١هـ/١٤١٨م): صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٤، ص١٠، ٢١).

(٤) كان السُّلْطان قَانصُوه الغَوري قد عَيَّن ابنه النَّاصِري محمد الكبير في وظيفة شادّ الشَّراب خاناه في رجب سنة ٩٠٧هـ /١٥٠٧م، وظل بهذا المنصب حتى توفى في ذي القعدة سنة ٩١٠هـ/أبريل ١٥٠٥م، عن عمر ناهز ثلاث عشرة سنة، فعين السُّلْطان في هذه الوظيفة الأمير طومان باي، فلما تولى طومان باي الدوادارية الكبرى عين مكانه ابنه النَّاصِري محمد الصغير هذا. انظر: ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، توفي بعد سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٢م): بَدائع الزُّهور في وَقائع الدُّهور، حَقّقَها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٤، ص٢٤، ٧٧-٧٨، ٢٠٧، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣٦٧، ٤٧٣، ٤٨٤، ج٥، ص١٠٢.

(٥) هو الأمير سيباي من بختجا، من مماليك الأشرف قايتباي، ترقى في المناصب حتى تولى نيابة حماة، ومن بعدها في نيابة حلب، ثم أميرًا للسلاح في مصر، وفي شوال سنة ٩١١هـ/مارس ١٥٠٦م، عيّنه السلطان الغَوري في نيابة دمشق، وظل بها حتى قُتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م. (ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٨٨-٨٩، ج ٥، ص٦٩، ٧١، ٧٧؛ وابن طُولُون شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي الدمشقي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م): مُفاكهة الخِلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٢م، ق١، ص٢٣٧، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٧ ق٢، ص٢٥؛ وإعلام الورى بمَن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق وتقديم عبد العظيم حامد خطاب، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٩٨-١٩٩).

(٦) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٣٧٩، ٣٩٩، ٤٠٦-٤٠٧؛ وابن الحمصي(شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن عمر الشهير بابن الحمصي، المتوفى سنة٩٣٤هـ/١٥٢٨م): حَوادِث الزَمان وَوَفيَّات الشيُوخ والأَقران، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا-بيروت،١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٢، ص٢٦٠-٢٦١؛ وابن طُولُون: إعلام الورى، ص٢٣٠-٢٣١.

(٧) الخَازندارية الكبرى: الخّازندار أو الخزَنْدار، وهو لقب الذي يتحدّث على الخزائن السُّلْطانية من نقْد وقُماش وغير ذلك. وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو خِزَانة، والثاني فارسي وهو دار، ومعناه ممسك، ويكون المعنى مُمْسِك الخِزَانة، أي المتولي أمرها. ويتولاها أمير طبلخاناه ثم أمير مائة مقدم ألف. ويبدو أن وظيفة الخازندارية الكبرى يتولى صاحبها الإشراف على الخازندارية، حيث لم يُكتف بخازندار واحد بل كان هُناك خازندار كبير، ثم خازندار ثاني وثالث ورابع.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص٢١، ج٥، ص٤٦٢-٤٦٣؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ج١، ص٤٥٣-٤٥٥).

(٨) ومن الحوادث التي تُبين ارتفاع مكانة الأمير محمد، أنه سافر في ركب الحج صحبة خوند زوجة أبيه، وكان وطاقه بين وطاق كاتب السِّرِّ ووطاق أمير ركب المحمل. فلما وصل إلى مكة دخل في موكب حافل واستقبله السيد الشريف بركات أمير مكة ومعه قضاة مكة وأعيان التُّجار. ومشوا قدامه حتى باب السلام، ثم قدّم له شريف مكة تقدمة حافلة ما بين ذهب وقماش ورقيق وغيره، وكذا فعل قضاة مكة وأعيانها. ثم عاد ركب الحاج إلى مصر في المحرم سنة٩٢١هـ / مارس ١٥١٦م، ودخلوا القاهرة وبصحبته أمير مكة وأولاده وتوجهوا إلى القلعة فاستقبلهم الأتابك وكبار الأمراء، ودخلوا في

موكب حافل إلى القلعة فاستقبلهم السُّلْطان وخلع عليهم. (انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٤٠٦-٤٠٧، ٤٠٩-٤١٠، ٤٣٣، ٤٣٩-٤٤٠).

(٩) هو الأمير قاني باي قرا الرماح، كانمن مماليك الأشرف قايتباي من مشترواته، فأعتقه وجعله من جملة الجَمَدَارية، ثم بعد ذلك ترقى في المناصب حتى أصبح أمير آخور كبير.، توفي في ربيع الأول سنة ٩٢١هـ/ مايو ١٥١٥م.(ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ٤٥٥).

(١٠) أمير آخُور كبير: وظيفة أمير آخُور من وظائف أرباب السيوف، يتولّى صاحبها الإشراف على اصطبلات السُّلْطان، وأمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما، وهو مركب من لفظين: أحدهما عربيّ وهو أمير، والثاني فارسي ومعناه المعلف، والمعنى أمير المَعْلَف. أما أمير آخور كبير فهو رأس أمير آخورية السُّلْطان، ويبدو أن الصفة« كبير» قد ظهرت بعد أن صارت الوظيفة يلزمها عدد كبير من الأمير آخُورية، ولهم رئيس أو كبير، وكان يتولاها أحد كبار الأمراء الكبار من فئة مقدمي الألوف، وهي تُعد من أكبر الوظائف العسكرية في البلاط المملوكي، وكانت الكتابات الأثرية التي تشمل هذه الصيغة ترجع إلى ما بعد القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مما يجعلنا نُرجح عدم ظهورها قبل ذلك قبل ذلك. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٨١-١٩، ج٥، ص٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج١، ص١٨٣-١٨٤).

(١١) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٤٥٣-٤٥٤.

(١٢) لم نعثر على تعريف لها فيما توفر لدينا من مصادر. ويبدو أن متوليها يقوم بالإشراف على بعض الدواوين والإدارات المختلفة مثل: ناظر الاسطبلات، وناظر خزائن السلاح، وناظر الخاص، وناظر الخاص، وناظر البيمارستان المنصوري، وغيرها.(انظر: القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٥، ص٤٦٥).

(١٣) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٤٥٦-٤٥٧.

(١٤) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص٣٠، ٤٠، ٤٧.

(١٥) مرج دابق: قرية قرب حلب من أعمال عَزَاز(أعزاز)، على بعُد أربع فراسخ أي حوالي ٢٣كم، ومرجها مرج معشب ويعرف «بمرج دابغ»، كان ينزله الخلفاء الأمويين من بني مروان إذا غزوا الصائفة، وبه قبر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك.(الحَمَوي(شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبدالله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ /١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج٢، ص٤١٦).

(١٦) ابن زُنْبُل الرمال: واقعة السُّلْطان الغَوري مع سليم الأول، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٤٠-٤١. وعن أفعال السُّلْطان سليم بعد دخوله حلب. انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص٧٤-٧٥.

(١٧) انظر ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ٧٣، ٨٥، ٩٤؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق٢، ص ٢٤؛ إعلام الورى، ص ٢٤٢؛ ابن زُنْبُل: واقعة السُّلْطان الغَوري، ص٤١، ٤٣. وخط البُندقانيين: كان قديمًا إسْطبل الجُمَّيْزة – أحد إسْطبْلات الخُلفاء الفاطميين- فلمَّا زالت الدولة الفاطميّة اختُطّ وصارت فيه مساكن وسوق، ومن بينها دكاكين لعَمَل قِسيّ البُنْدُق، فُعرف الخُطُّ بالبُنْدقانيين لذلك. (المَقْريزي: المَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٨٩-٩٠).

(١٨) مرج دابق: قرية قرب حلب من أعمال عَزَاز(أعزاز)، على بعُد أربع فراسخ أي حوالي ٢٣كم، ومرجها مرج معشب ويعرف «بمرج دابغ»، كان ينزله الخلفاء الأمويين من بني مروان إذا غزوا الصائفة، وبه قبر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك.(الحَمَوي: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٦).

(١٩) المماليك الجُلبان: أو الأجلاب أو المشتريات أو المشتروات: فريق من المماليك اشتراهم السُّلْطان أوالأمير، وكانوا أقرب المماليك إلى السُّلْطان، وموضع إيثار عند أستاذهم دائمًا. وقد تم جلبهم كبار السن، وعدم تدريبهم تدريبًا عسكريًا دقيقًاكما لو كانوا في سن صغيرة.(ابن تَغْري برْدِي(جمال الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النّجُوم الزاهِرة في ملوك مِصر والقاهِرة، تحقيق جمال الين الشيال وفهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١٦، ص٢٠ هامش١؛ حكيم أمين السيد: قيام دولة المماليك الثانية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١١٥-١١٦).

(٢٠) ابن زُنْبُل: واقعة السُّلْطان الغَوري، ص٤١-٤٢.

(٢١) هو الأمير طومان باي، كان أصله من كتابية الأشرف قايتباي، اشتراه عمه الأشرف قَانصُوه الغَوري وقدمه للسلطان الأشرف قايتباي، ولهذا عُرف بطومان باي من قَانصُوه، واستمر على ذلك حتى تسلطن الناصر محمد بن قايتباي فأعتقه وصار جمَدارًا ثم خاصكيًا، وعندما تسلطن الغَوري أنعم عليه بأمير عشرة، وتدرج في كثير من المناصب حتى قرر في وظيفة الدوادارية الكبرى في جُمادى الأولى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م، وكان نائبًا للغوري في مصر أثناء سفره لمقابلة السُّلْطان سليم . تولى السلطنة المملوكية في مصر بعد مقتل السُّلْطان الغَوري في رمضان ٩٢٢هـ/أكتوبر١٥١٦م، وواجه العثمانيين في الرَّيْدانية وهزم فيها، غير أنه واصل قتاله معهم في أكثر من معركة، وانتهى الأمر

بأسره وشنقه على باب زويلة في ربيع الأول ٩٢٣هـ/أبريل١٥١٧م.(انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص١٠٢-١٠٥، ١٧٥-١٧٦).

(٢٢) الدَّوَادَار الكبير: الدَّوَادَار هو لقب الذي يحمل دَواة السُّلْطان، وهو مركب من لفظي: أحدهما عربي وهو الدَّواة، والثاني فارسي وهو دار، ومعناه مُمْسِك. ويكون المعنى «مُمْسِك الدَّواة». والدَّوَادارِيَّة وظيفة موضوعها تبليغ الرسائل عن السُّلْطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكُتُب، أما الدَّوَادَار الكبير فهو كبير الدَّوَادارية، ويُقال له أيضًا أمير دوادار أو أمير دوادار كبير، حيث يرأس عددًا من الدَّوَادارية كالدَّوَادَار الثاني والثالث وحتى العاشر.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٩، ج٥، ص٤٦٢؛ السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن بدر الدِّين محمد، المتوفى سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثَّغْر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، دراسة وتحقيق، أشرف محمد أنس، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب والوثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١، ص٣٩٠؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٥٣٥-٥٣٦).

(٢٣) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ٨٥.

(٢٤) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ١٠٩، ١٢٧-١٢٨.

(٢٥) ابن زُنْبُل: واقعة السُّلْطان الغَوري، ص ٤١.

(٢٦) هو الأمير أبرك الأشرفي، كان من مماليك السُّلْطان الغَوري، تقلد عدّة مناصب منها نيابة قلعة حلب، ثم شاد الشراب خاناه بالقاهرة، وبعدها تولى نيابة طرابس ثم عزل عنها، وفي جُمادى الأولى سنة٩٢٠هـ/يوليو١٥١٤م، جعله السُّلْطان باش على المماليك الجلبان الذين عينوا للتوجه لحلب لحفظها ثم عاد، وكان آنذاك مُقدِّم ألف، ثم عين بعد ذلك في الوزارة والاستادارية. ولم نعثر على تاريخ وفاته. (انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٣٨٢، ٤٤٣؛ ج٥، ص١٣٥).

(٢٧) الرَّيْدانية: أشار المَقْريزي إلى أنها كانت بُسْتانًا لرَيْدان الصَّقْلبي أحد خُدام الخليفة الفاطمي العزيز بالله. وهي تُعادل الآن المنطقة المعروفة بالعَبّاسية بالقاهرة.(المَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٤٦٤ وهامش ١).

(٢٨) لمزيد من التفاصيل عن معركة الرَّيْدانية انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ١٤٥- ١٤٧؛ أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق التركية والعربية المعاصرة له، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٨٢-١٩٢.

(٢٩) الوطاق: كلمة تركية تعني الخيمة الكبيرة أو المُخيَّم، أو الغرفة. والمقصود بها هنا الخيمة.(محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص١٥٥).

(٣٠) المُخَمل: ثياب ذات نسيج ذو أهداب له وبر شبه القطيفة من القطن والكتان، وهي تجلب من عدة بلدان مثل: الهند والصين وغيرهما.(رينهارت دُوزي: تكملة المعاجم العربية، نقَله إلى العربية وعلّق عليه محمد سليم النعيمي، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والإعلام–دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ج٤، ص٢١٢).

(٣١) انتهى العمل من بناء هذه المدرسة في ليلة عيد النحر من شهر ذي الحجة سنة ٩٠٨هـ/يونيو ١٥٠٣م، وعمل فيها وليمة كبيرة حضرها الخليفة العباسي المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان الدولة من المباشرين والأمراء.(انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٤، ص٥٢–٥٣). وتقع المدرسة في سوق الشرابشيين، التي يُباع فيها الخِلَع التي يُلْبِسها السُّلْطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم. وموضعه في المسافة المحصورة بين شارع الأزهر شمالًا وعطفة البارودية جنوبًا. (المَقْريزي: المَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٣٢٧ وهامش ١).

(٣٢) الدفتردار: أي ممسك الدفتر، وهي تتكون من كلمتين: دفتر ودار، بمعنى القابض على الدفتر، وهو أكبر منصب للشئون المالية في الدولة العثمانية، يقابله في الوقت الراهن وزير المالية.(سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص١١٣–١١٤).

(٣٣) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص١٤٩. وقد وصل هذا الخبر إلى دمشق في ربيع الآخر من السنة نفسها ، حيث أشار ابن طولون إلى ذلك بقوله: «وسمعنا يومئذ بأن ابن السُّلْطان قَانصُوه، خلع عليه الملك المظفر المذكور، وأكرمه وأسكنه بتربة والده، وأن منزله الحسن سكنته الأروام». (مفاكهة الخلان، ق٢، ص٦٠).

(٣٤) أفندي: هي كلمة رومية بيزنطية انتقلت إلى التركية منذ عهد السلاجقة، واستعملها العثمانيون للدلالة على الشخص المتعلم أو المثقف. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص٣٤.

(٣٥) واقعة السُّلْطان الغَوري، ص١١٤.

(٣٦) انظر يوميات حملة السُّلْطان سليم الأول على بلاد الشام ومصر، من ترجمة ونشر: فاضل بيات: البلاد العربية في الوثائق العثمانية (النصف الأول من القرن ١٠هـ ١٦م)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠١٠م، ج١، ص٣٢٥.

(٣٧) جاء على صفحة عنوانه: «الجزء الثاني من تاريخ نادرة زمانهِ ومُؤَرِّخ وقتهِ وأوانه الفاضل الجليل النبيل أحمد بن عليٍّ المَحَلِّيِّ الرَمَّال الشهير بابن زُنْبُل رَحِمَهُ اللَّه تعالى وعفى عنه بمنِّهِ وكرمهِ آمين، والحمدُ لله وحده، والصَّلاةُ والسّلامُ على من لا نبيّ بَعده». مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤ تاريخ، ميكروفيلم ١٠٦٩٨.

(٣٨) ابن زُنْبُل : تاريخه، ورقة ٨٧ ب–٨٨ أ.

(٣٩) هو خير بك من ملباي بن عبد الله الجركسي، الأشرفي، أصله من مماليك الأشرف قايتباي. وترقي في الوظائف حتى تولى نيابة حلب وكان آخر نوابها في العصر المملوكي. انضم إلى السُّلْطان سليم الأول وخان أستاذه الغَوري، وعندما سقطت مصر في يد العثمانيين تولى نيابتها. توفي في ذي القعدة سنة ٩٢٨هـ /سبتمبر ١٥٢٢م. (انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ٤٨١–٤٨٤؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٣، ص٤٥؛ ابن الحنبلي: (رضي الدِّين محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، المتوفى سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م): دُرُّ الحبَب في تاريخ أعيان حَلَب، حَقَّقَهُ محمود حمد الفاخوري ويحي زكريا عبّارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م، ج١ق٢، ص٦٠٣–٦٠٩رقم ١٧٧).

(٤٠) هو جان بردي بن عبد الله الجركسي، الشهير بالغزالي، أصله من مماليك الأشرف قايتباي. تولى نيابة حماة ثم دمشق، ثم لما قتل الغَوري بمرج دابق رجع جان بردي إلى مصر، وقد تسلطن طومان باي، فأقامه طومان باي نائبًا لدمشق، فلما أخذ السُّلْطان سليم مصر أمنه، وولاه كفالة الشام دمشق، وصفد، وغزة والقدس وأعمالها، كما وعده بذلك. وبعد وفاة السُّلْطان سليم قام بالعصيان على ابنه السُّلْطان سليمان، وسيطر على حمص وحماه، وحاصر حلب، وانتهى الأمر بمقتله في دمشق في صفر سنة ٩٢٧هـ/ فبراير ١٥٢١م.(انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص٣٨٢–٣٨٤، ٤٢٢–٤٢٣؛ ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج٣، ص٢٥–٢٧؛ ابن طولون: إعلام الورى، ص٢٥٥–٢٦٧؛ ابن الحنبلي: دُرُّ الحبَب، ج١ ق١، ص٤٤٥–٤٤٨ رقم ١٢٧).

(٤١) أشار ابن إياس إلى وجود جواسيس للسلطان سليم الأول بالقاهرة. انظر: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص١١٦، ١٢٣–١٢٤.

(٤٢) سنجق: الجمع سناجق، لفظ تركي، والمراد به الراية التي تربط به، وكانت الرايات الصُغْر الصغيرة تُسمى السَّناجق. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص٨؛ المَقْريزي: السُّلُوك لمَعْرِفَة دُوَل المُلوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج١ق١، ص١٢٤هامش ١).

(٤٣) للمزيد عن أملاك السُّلْطان الغَوري وأوقافه انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ٩٣-٩٥؛ أحمد محمود عبد الوهاب المصري: «العمائر في وثائق الغَوري الجديدة بوزارة الأوقاف»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج-جامعة أسيوط، ١٩٨١م، ملحق بفهرس وثائق الغَوري الجديدة، ص٢٦٣-٣١٨.

(٤٤) ابن زُنْبُل: تاريخه، ورقة ٨٨ ب.

(٤٥) هو الخَوَاجا شَرف الدِّين يُونُس بن علي الصابوني الحلبي، كان من تجار سوق الصابون بحلب، وكانت بيده أيضًا وظيفة مُعلمية المصابن، وألتحق بخدمة ناظر الخاصّ المعروف بالعلاء علي ابن الصابوني. وعندما آلت السلطنة إلى الأشرف قَانصُوه الغَوري أصبح من المقربين عنده، وكان يعتمد عليه في المهمات الرسمية، وبعد هزيمته في مرج دابق ومقتله، صارت له منزلة رفيعة عند السُّلْطان سليم الأول، حيث كان معه في الباطن ويكاتبه بأحوال السُّلْطان وما يقع من أخبار الدولة. توفي في دمشق سنة ٩٣٦هـ /١٥٣٠م. (ابن الحنبلي: دُرُّ الحبَب، ج٢ق٢، ص٦٢٠-٦٢٢رقم ٦٤٠).

(٤٦) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص٢٠٨، ٢٥٣؛ ابن زُنْبُل : واقعة السُّلْطان الغَوري، ص١٨٥.

(٤٧) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق٢، ص٨٣؛ إعلام الورى، ص٢٤٧، ٢٥٥).

(٤٨) ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٥، ص٣٩٧. ومما يؤكد أن الأمير محمد بن الغوري كان موجودًا بالقسطنطينية في تلك الفترة، هذا الاشهاد الذي ورد بالهامش الأيمن في وثيقة الاستبدال رقم ٥٢٨ج، الخاصة بأوقاف والده، وذلك بما نصّه:«أشهد على نفسه الكريمه حرسها الله تعالى وحماها/ وصانها ورعاها مولانا المقام العالي الناصري محمد/ نجل الاشرف الغوري حرس الله ذاته شهوده الاشهاد/ الشرعي أن جميع الأماكن المستجده الآن والعماره/ المذكوره أعلاه مستحقه لجهة أوقاف والده المنوه باسمه/ الشريف اعلاه يصرف ريعها وأجورها على حكم/ شرطه بكتاب وقفه الشريف... وأشهد على/ نفسه الكريمه بذلك بمدينة القسطنطينية العظمى المحروسة/ في خامس شهر رمضان سنة ست وعشرين وتسعمايه وحسبنا الله ونعم الوكيل». انظر: جمال الخولي: الاستبدال واغتصاب الأوقاف دراسة وثائقية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٢٨١.

(٤٩) العلوفة: الراتب الرسمي الذي كان يُدفع للإنكشارية وبعض الفرق العسكرية الأخرى وبعض الموظفين في الدولة العثمانية. وأُخذت الكلمة من علف الحيوانات، كأنها خاصة بعلف دابة الخيّال. (سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٥٥-١٥٦).

(٥٠) دُفن الأمير محمد بن الغَوري في مقبرة أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- بإسطنبول. انظر ترجمته في: دُرُّ الحبَب، ج٢ق١، ص٣٧٢-٣٧٤ رقم ٥١٦.

(٥١) احتفظ سلاطين المماليك بقوائم الهدايا التي كانت تصل إليهم من ملوك وحكام الأقاليم المجاورة، وهو ما أكده ابن إياس عندما حضر قاصد ملك الحبشة في المحرم سنة ٩٢٢هـ/ فبراير ١٥١٦م، وقدم هدية لم تكن كبيرة، بلغت قيمتها نحو خمسة آلاف دينار أو دون ذلك. فوبخ السُّلْطان الغَوري الذي قدّمها، وأحضر له قوائم بهدايا ملوك الحبشة إلى الملوك السابقين، وأحضر له عدّة تواريخ بذكر هدايا ملوك الحبشة إلى ملوك مصر فقُرئت عليه.(بَدائع الزُّهور، ج٥، ص ١٢). وقد ورد ذكر القائمة التي تتضمن الهدايا التي أرسلها الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك أرجون خايم الثاني Jaime II في شعبان سنة ٧٠٥هـ/فبراير ١٣٠٦م. انظر:

Aziz Suryal Atiya: Egypt and Aragon : embassies and diplomatic correspondence between 1300 and 1330 a.d, Leipzig : F.A. Brockhaus, 1938.PP.29-30.

ومحمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر (الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص٢٦٦. كما أرسل ملكي أراجون خايم الثاني Jaime II وألفونسو الرابع Alfonso IV قوائم هديا إلى السُّلْطان الناصر محمد بن قلاوون تحمل صقور وأقمشة وجواهر وجلود حيوانات. انظر: محمد محمود النشار: علاقة مملكتي قشتاله وأراجون بسلطنة المماليك(٦٥٨-٧٤١هـ/١٢٦٠-١٣٤١م)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧م، ملحق (٩-١٠، ١٢، ١٥)، ص٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٥-٢٨٦). وهناك قائمتا هدايا بين سلاطين المماليك والعثمانيين، الأولى أرسلها السُّلْطان الظاهر جقمق إلى السُّلْطان مراد الثاني العثماني في ذي الحجة سنة٨٤٣هـ /مايو ١٤٤٠م، ردًا على رسالته، والثانية أرسلها السُّلْطان الأشرف إينال إلى السُّلْطان محمد الفاتح في٢٠ ذي القعدة سنة ٨٥٧هـ /نوفمبر ١٤٥٣م، ردًا على رسالته وتهنئته بفتح القُسطنطينية. وكانت هذه الهدايا تضم مصحفًا شريفًا وتحفًا وأقمشة متنوعة وحيوانات. لمزيد من التفصيل انظر: أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني، ص٢٨٩-٢٩١، ٣٠٤-٣٠٥). وأرسل السُّلْطان قايتباي قائمة هدايا إلى دوج البندقية في الخطاب الذي أرسله إليه بتاريخ١٠ شعبان٨٧٧هـ/١٤٨٢م، ولم يرد محتويات الهدايا. انظر:

John Wansbrough: A Mamluk Letter of 877/1473, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 24, No. 2 (1961), p.2008.

(٥٢) عن أنواع الهدايا وأغراضها المتعددة وقوائمها وسجلاتها انظر: محاسن محمد الوقاد: الهدايا والتحف زمن سلاطين المماليك البحرية(٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، حوليات كلية الآداب- جامعة عين شمس، المجلد ٢٨- عدد٢، ٢٠٠٠م، ص١٩٢-١٩٤، ٢٣١-٢٣٣.

(٥٣) صُبْح الأعْشَى، ج٩، ص١٠٠.

(٥٤) الوثيقة سطر ٧.

(٥٥) الوثيقة سطر ٢٧.

(٥٦) الوثيقة سطر ٨-٩. والمملوك: تحور هذا اللفظ عن معناه اللفظي، وكان يقصد به النعت للدلالة على التواضع والطاعة وخاصة في القصص(الشكاوى) القضائية. وإن لم يكن المترجم عنه مملوكًا رقيقًا.(حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص ٥٠٨؛ عبد اللطيف إبراهيم: «من الوثائق العربية في العصور الوسطى: وثيقة استبدال»، مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة، ١٩٦٣م، مج٢٥-ج٢، ص٢٠).

(٥٧) الأرقام الديوانية ليست أرقامًا من واحد إلى تسعة، ولكنها تمثل رموزًا مختصرة من أسماء الأعداد، واستعملت هذه الرموز للتعبير عن عدد معين أو جملة أعداد. وقد استعملت هذه الحروف للتعبير عن أرقام الآحاد والعشرات والمئات، وقد استعملت في الحسابات والأمور المالية والدفاتر والسندات، وهي مأخوذة من العرب، ثم انتقلت إلى سلاجقة الروم ثم العثمانيين. ويُعرف الخط الديواني بالفارسية «سياقت أرقامي»، أي «أرقام السياقة».(عاطف منصور محمد رمضان: رموز الأرقام والتقاويم على النقود في العصر الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٥٠).

(٥٨) أشار القَلْقَشَنْدي أن كبار أمراء المماليك كانوا كان يلبسون في زمن الشتاء فِراء السِّنْجاب، والسَّمُّور، والوَشْق، والقاقُم، والفنك.(صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص٤٠). وذكر المَقْريزي أن سُوق الفَرَّائين بالقاهرة سكنه صُنَّاع الفِراء وتُجَّارُه، وكان به أنواع الفِرَاء المختلفة ، وكانت من الملابس التي لا يستطيع أحدٌ أن يلبسها غير السُّلْطان ونِسائه في عصر سلاطين المماليك البحرية، ثم كثر استعمالها من قبل الأمراء والمماليك والكُتَّاب وكثير من عامة الناس.(المَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٣٤٢-٣٤٣).

(٥٩) عن أنواع الفراء والأقمشة التي كانت تُقدم كهدايا لسلاطين المماليك انظر: ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١م، ج١، ص ٦٥، ٧٩، ٢٦٢-٢٦٣، ٤١٩؛ والسخاوي: التِّبر المسبوك في ذَيل السُّلُوك، تحقيق نجوان مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج١، ص ١٧٧-١٧٨، ٢٢٣.

(٦٠) المقر: أصله في اللغة موضع الاستقرار. وقد استعير في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيمًا له عن التفوه باسمه. وقد صار من الألقاب الأصول في عصر المماليك، وكان يلي في الرتبة تنازليًا لقب المقام.(حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٤٨٩).

(٦١) العالي: من الألقاب الفروع في العصر المملوكي، وكانت رتبته أعلى من«السامي»، وفي بعض الأحيان يسبق بلقب تابع آخر مثل الأشرف والشريف والكريم. وكان «العالي» من الألقاب التي تجري مجرى التشريف، فكان يوصف به أشياء على سبيل التشريف، حيث كان «الشريف» لقبًا على متعلقات السُّلْطان.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص١١٦؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣٩٠-٣٩١).

(٦٢) المَوْلوي: المَوْلى يطلق في اللغة على السيد، وعلى المملوك، والعتيق، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانًا، وبمعنى الانتماء أحيانًا أخرى. واستعمل اللقب مضافًا إلى ياء النسب نسبة للمبالغة، فكان يقال المولوي، وفي عصر سلاطين المماليك صار لقب المولوي – فضلاً عن استعماله للسلاطين– يرد ضمن ألقاب كبار رجال الدولة من الأمراء والمدنيين. وقد استقر كتاب العصر المملوكي على وضع هذا اللقب في سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة، فيقال مثلاً: «المقر الشريف المولوي الأميري». (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٣١، ١١٥-١١٦؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٥١٦، ٥١٨-٥١٩).

(٦٣) الأميري: من ألقاب السيوف، ويُكتب به لكبار الأمراء أوالوزراء وإن كانوا من أرباب الأقلام.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص ١٠).

(٦٤) السُّلْطانيّ: نسبة إلى السُّلْطان، وأضيفت ياء النسب للمبالغة، وهو من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيُقال المقام الشريف العالي السُّلْطانيّ ونحو ذلك.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص١٥).

(٦٥) اعتبر كاتب الوثيقة استيلاء العثمانيين لمصر فتحًا وليس غزوًا.

(٦٦) هكذا والصواب: «مقابلة». وقد استبعدنا أن تكون: «تقابل».

(٦٧) هذه القراءة أقرب إلى الصواب. وقد استبعدنا أن تكون: «الأمير»، والمعنى ان الأمير محمد بن الغوري قدّم الهدية عند دخول السُّلْطان سليم مصر أثناء لقائهما.

(٦٨) هذه القراءة أقرب إلى الصواب.

(٦٩) هذه القراءة أقرب إلى الصواب.

(٧٠) هو الشيخ جمال الدين أبو الدُرّ ياقوت بن عبد الله المُسْتَعْصمي الكاتب، رومي الجنس نشأ ببغداد وأحب الكتابة والأدب، انتهت إليه رئاسة الخط المنسوب، وقد كتب كثير من المصاحف الموجودة في متاحف العالم، توفي في بغداد في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م.(ابن الجزري(شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص٤٥٨-٤٥٩ رقم ٢٧١؛ صلاح الدين المنجد: ياقوت المُسْتَعْصمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٧-٣٢). وقد ذكر السخاوي أن الأمير برسباي الشرفي خرج في ربيع الأول سنة ٨٧٧هـ/ أغسطس ١٤٧٢م، رسولًا عن السُّلْطان الأشرف قايتباي إلى سلطان الروم بهدايا سنية منها: مصحف بخط ياقوت وخيول وجواهر. السخاوي(شمس الدِّين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت٩٠٢ هـ/١٤٩٧م): الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص١٠.

(٧١) هذه القراءة الأقرب للكلمة.

(٧٢) فولاذ: هو الحديد المصفى من خبثه، وأصلها الكلمة بالفارسية بولاد. (عبد الرحمن فهمي: «صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية»، ١٩٥٦م، مج٥، ص٧٣ هامش ٢).

(٧٣) مُسقَّط: والمقصود السقَّط أي الترصيع، مثل ترصيع الفولاذ بالذهب.(دُوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٦، ص٩٢).

(٧٤) كلمة تعذر قراءتها. ربما تكون: «وبلورا»، أو رمزًا لأحد الأعداد أو اسمًا من أسماء السيوف.

(٧٥) هذه القراءة الأقرب للصواب، وذلك استنادًا للكلمة الأخرى «نفرين».

(٧٦) السَّمُّور: حيوان برّي يشبه السِّنَّوْر، وقد يكون أكبر منه. ومنه يتخذ نَفيس الفِراء التي لا يلبَسُها إلا الملوك وأكابر الأعيان ممن يداني الملوك لحسنها ودفائها؛ وأحسنه ما كان منه شديد النّعومة مائلًا إلى السواد، والمقصود هُنا جلدها.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٢،ص٤٩).

(٧٧) أبدان: جمع بدن، ويُرجح بأنه القطعة الكاملة من جلد أو فرو الحيوان بكامله.(ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور،ج١،ص٦٥ هامش٢).

(٧٨) هكذا والصواب: «وَشْق». والوَشْق: حيوان من فصيلة السنوريات، يتخذ منه الفراء الجيدة.(دُوزي: تكملة المعاجم العربية، نَقَله إلى العربية وعلق عليه جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،٢٠٠١م، ج١١،ص١٤٧وهامش١١٣).

(٧٩) عال: يقصد به أنه من الأنواع الجيدة.

(٨٠) السِّنْجاب: حيوان أكبر من الفأر، ووبَره في غاية النعومة، وجلده في غاية القوة. ويتخذ من جلده الفِراء النفيسة التي يلبسها أعيان الناس ورؤساؤهم. وهو كثير في بلاد الصقالبة والفرنج، وأحسن ألوانه الأزرق.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٢، ص٤٩).

(٨١) القاقُم: وهو حيوان صغير في قدر الفأر لها شعر أبيض ناعم، ومنه يتّخذ الفراء، ولونه أبيض، وهو أعلى قيمة من السِّنْجاب.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٢، ص٤٩).

(٨٢) الشاشات: جمع شاش، وهو ما يُلف حول الرأس من قماش، وكان منه الشاش اللانس الحرير من عمل الاسكندرية، وينسج بالذهب ويُعرف بالمُتمر.(القلشندي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص٥٣؛ والمَقْريزي: السُّلُوك، ج٢ق٢، ص٣٣٦ هامش٤؛ والمَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٧٣٥).

(٨٣) شقق: جمع شقة، وهي قطعة قماش سواء من الكتان أو الجوخ أو الحرير.(دُوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٦، ص٣٣١).

(٨٤) كلمة تعذر قراءتها، ولعلَّها: «متمَّر».

(٨٥) كلمة تعذر قراءتها، ولعلَّها: «تحت»، أو «تخت».

(٨٦) أنصاف خمسيني: الأنصاف ربما المقصود بها النصافي جمع نصفية: وهي قماش من حرير وكتان. (دُوزي: تكملة المعاجم العربية، ج١٠، ص٢٣٧). أما الخمسيني فيبدو أنه طول الشاش، أو نوعًا منه.

(٨٧) الأطْلَس: نسيج من الحرير، وكان منه الأحمر والأصفر.(المقْريزي: المَواعظ والاعتِبَار، مج٣، ص٧٣٥؛ ل. أ.ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٢٧).

(٨٨) فارس كوري: والمقصود مدينة فارسكور، وقد كتبت في مقطعين، وكانت في العصر المملوكي تابعة لإقليم الدقهلية والمرتاحية، ومساحتها ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون فدانًا. (ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدَمُر العلائي، المتوفى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق العربية، بيروت، (د. ت)، ج٥، ص٧٤). وهي الآن إحدى المركز الكبرى بمحافظة دمياط.

(٨٩) هكذا والصواب:«خنجر»، وهو يتفق مع ما جاء بعدها؛ حيث أن الخنجر نصله من الفولاذ وقبضته مرصعة بالذهب، ويحمله السلاطين والأمراء في حياصتهم(أحزمتهم). ويبدو أنه سهو أو خطأ من كاتب الوثيقة، على نحو ما حدث مع كلمة: «وشق» والتي كتبت: «وحق».

(٩٠) وردت أكثر من إشارة عن الطشوت(الطسوت) والأباريق البِلَّوْر المُذهبة. انظر: ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج١ق٢، ص٣٦، ج٣، ص٢٧١، ٤٧٣.

(٩١) حياصة: الجمع حَوائِص. المنطقة التي تُشَدّ حول الوسط، وتُسمى الحزام. وتكون من الذهب أوالفضة حسب رتبة الأمير. وكانت حَوائِص الأمراء تخرج مع الخِلَع السُّلطانية من خِزانة الخاص. (المقريزي: المواعظ والاعتبار، مج٣، ص٣٣٠ هامش١، ٧٠٤؛ ج٤، ص٤٠، ٥٥؛ ماير: الملابس المملوكية، ص٤٧).

(٩٢) السرج: وهو ما يقعد فيه الراكب على ظهر الفرس؛ وأشكال قوالبه مختلفة، ومن السرج ما يكون مطلي بالذهب، وهو مما يصلح للملوك. ومنها ما يكون مغشّى بالفضة البيضاء، وكل منها قد يكون منقوشًا وغير منقوش. منها ما يكون بأطراف فضة، ومنها ما يكون ساذجًا. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٢، ص١٢٨-١٢٩؛ المَقْريزي: المواعظ والاعتبار، مج٣، ص٣٢٥). وقد وردت إشارات متعددة عن السروج البِلَّوْر المُذهبة. ابن إياس: بَدائع الزُّهور، ج٢، ص٣٤٤، ج٤، ص٢٠٠، ٤١٧-٤١٨، ٤٢٠.

(٩٣) التركاشين: مثنى تَركاش، وبالفارسية تَرْكش، وتجمع تراكيش. ومعناها: الجَعْبَة التي توضع فيها النُّشَّاب. (دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٣٨؛ ماير الملاببس المملوكية، ص١٣٦).

(٩٤) البِلَّوْر: من الأحجار النفيسة كالياقوت وغيره، وهو شفاف اللون شديد الصفاء، ويوجد بأماكن متعددة منها: الحجاز والصين وبلاد الفرنج. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٢، ص ١٠٨-١٠٩، دُوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٤٢٢).

(٩٥) مزمكة: الزمك إدخال الشيء في الشيء، والمزمك المتداخل. ويُقال مزمك بالذهب واللازورد، أي أن الذهب متداخل مع اللازورد فيُضفي منظرًا جميلاً.(ابن منظور: جمال الدِّين أبو الفضل(جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مَكْرَم بن علي الأنْصاري، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت)، ص١٨٦٣ مادة«زمك»؛ ومحمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٩٠م، ص١٠٤).

(٩٦) دله: هذه هي القراءة الأقرب للكلمة، ويبدو أن المقصود بها بدلاية، أي حَلْقة بلور توضع فيها السكاكين.

(٩٧) كوز قاضياني: وهو من أنواع القِصاع(الأوْعية)، التي تُستخدم للشراب، ويبدو أن التسمية نسبة إلى ملابس القضاة، وهي تسمية حرَفية ظريفة، كان يُصنع في مدينة زبيد باليمن، وكان لون هذا الإناء أبيض مُتداخل بأسود.(مؤلف مجهول(عاش في عصر السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول ٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٥م): نور المعارف في نظم قوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، جزأين، الطبعة الأولى، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٢٣، ٢٣٩).

(٩٨) السَّكاريج: أو السَّكارج، جمع سُكُرُّجة، وهي إناء صغير يؤكل فيه، وهي كلمة فارسية.(ابن منظور: لسان العرب، ص٢٠٤٩ مادة سكرج).

(٩٩) هذه القراءة أقرب إلى الصواب.

(١٠٠) هذه القراءة أقرب إلى الصواب.